

# صورة الآخر في الخطاب التربوي المغربي بين طموح الأهداف ومحدودية التأثير

عبد الإله حميد \*

# صورة الآخر في الخطاب التربوي المغربي بين طموح الأهداف ومحدودية التأثير

وتتوعها بالقول (المملكة المغربية دولة إسلامية ذات سيادة كاملة، متشبثة بوحدتها الوطنية والترايبية، وبصيانة تلاحم مقومات هويتها الوطنية، الموحدة بانصهار كل مكوناتها، العربية الإسلامية، والأمازيغية، والصحراوية الحسانية، والغنية بروافدها الإفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية). هذا التصور الجديد لمسألة الهوية يحتم على المشتغلين في الحقل التربوي مسائلة مدى حضور هذه الجوانب وتوازنها في البرامج الدراسية.

## 2. مشكلة الدراسة

### أ. أسئلة الدراسة

تتعلق مشكلة الدراسة من وجود ثغرة كبيرة بين الخطاب الرسمي المغربي من جهة والبرامج الدراسية والتمثلات الخاصة بهيئة التدريس من جهة ثانية. ففي الوقت الذي تؤكد فيه الوثائق الرسمية المغربية تبنيها لمفهوم الهوية المتعددة والمنفتحة، وتعتبر المكون الأمازيغي والعربي والحساني والعبري وغيرها عناصر وروافد هذه الهوية، فقد لوحظ أن الكتب المدرسية المغربية لا تزال قاصرة عن ترجمة مضمون هذه التوجهات الرسمية، ومما يزيد من تفاقم الثغرة سلبية معظم تمثلات الأساتذة حول الآخر المختلف دينياً وثقافياً ولغوياً. ويمكن ترجمة مشكلة الدراسة إلى الأسئلة التالية:

- ما طبيعة حضور الآخر في الكتب والبرامج الخاصة بالتاريخ بالمرحلة الثانوية الإعدادية؟

- ما تمثلات ومواقف المدرسين من الآخر؟

- كيف يمكن المساهمة في الملائمة بين الخطاب الرسمي حول التسامح والتنوع الثقافي من جهة وما هو مضمون في الكتب المدرسية المغربية؟

### ب. أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في كونها تعالج موضوعاً حيويًا

**الملخص** - تعالج الدراسة صورة الآخر في الكتب والبرامج المدرسية المغربية الخاصة بالمرحلة الثانوية الإعدادية، وتمثلات عينة من أساتذة هذه المرحلة التعليمية، وتحاول هذه الدراسة تشخيص طبيعة صورة الآخر في برامج كتب التاريخ اعتماداً على تقنية تحليل المضمون، والذي يقوم على استخراج الإشارات والعبارات التي تخص الموضوع، وتبويبها في فئات موضوعاتية بقصد رسم صورة عامة للآخر وقد تم الاعتماد أيضاً على الإستبانة لرصد تمثلات عينة من مدرسي مادة التاريخ حول الآخر. وبناء على نتائج التحليل أشارت أهم التوصيات المتوصل إليها إلى ضرورة تصحيح الاختلالات والمشاكل التي تميز مقارنة البرامج الحالية لموضوع تمثل الآخر، مع الدعوة إلى بناء مقارنة جديدة تقوم على مبادئ التربية على التنوع الثقافي، باعتبارها إطاراً ناظماً للقيم والإجراءات المعتمدة للتربية في مجتمع متعدد الثقافات كالمجتمع المغربي.

**الكلمات المفتاحية:** الصورة، التمثلات الاجتماعية، الكتب المدرسية، الأساتذة، الآخر.

## 1. المقدمة

تتناول الدراسة صورة الآخر في الخطاب التربوي المغربي من خلال تحليل بعض الكتب المدرسية المغربية للتاريخ وتمثلات المدرسين بالمرحلة الثانوية الإعدادية. وهو موضوع يندرج ضمن إشكالية عامة مرتبطة بالعلاقة بالآخر، باعتبارها من الإشكالات التي تطرح نفسها بحددة في الوقت الراهن، نتيجة لتصاعد قيم واتجاهات سلبية ناتجة أساساً عن اختلال في تدبير العلاقة بين الأنا والآخر.

تهدف الدراسة إلى ملامسة حضور الآخر في البرامج المغربية وتمثلات عينة من الأساتذة المغاربة بالمرحلة الثانوية الإعدادية، ومن المعلوم أن المجتمع المغربي مجتمع متنوع الروافد وهو ما تنبه إليه الدستور المغربي 2011 وأشار إليه في المجال الخاص بالهوية المغربية، حيث أشار إلى تعددها

## د. التعريفات الإجرائية

تستند الدراسة إلى إطار مفاهيمي، أهم عناصره ما يلي:

- الصورة image إن الصورة في المعاجم العربية هي الشكل الذي يتجلى به الشيء ويتمظهر فيه أمام الموجودات الأخرى، وهذه الصورة قد تكون حسنة أو قبيحة. أما في المعاجم الغربية فنجد أن الصورة تحيل إلى التمثل الذهني لموضوع غائب، فهي تتميز بالعفوية، وتبنى انطلاقاً من ذكريات وأحداث متكررة [1].

ويميز في الصورة بين ثلاثة مستويات أساسية وهي: الصور النسخ التي تحصل من خلال الإدراك، والصور التي تفيد نقصاً ما أو تعويضاً عن خصائص واقعية، أما المستوى الثالث فهي الصور الرمزية والتي تتوضح في تمازجها التام بين الدال والمدلول والحامل للدلالة. وللصورة ارتباط كبير بالموقف، فالاقتراب من آليات تشكل المواقف يقود إلى فهم الصورة والعكس صحيح، مما يفترض الانتباه إلى علاقة الصور بالموقف والرأي في تاريخهما حتى لا يسقط الباحث في الطابع الإنزياحي المتقلب لكل من الرأي والصورة، كما وتتولد عن الصور مجموعة من التفرعات الأخرى، لعل أهمها "الصور النمطية Stéréotypes، ويقصد بها بالنسبة لعلماء النفس الاجتماعيين جملة المعتقدات التي نحملها عن الآخرين أفراداً أو جماعات، وهي أيضاً مجموعة من السمات والخصائص [2]. وتلعب هذه الصور النمطية حسب حجازي [3] وظيفة تبريرية فمن خلالها يصبح العدوان والاستغلال مشروعين تجاه من أصقت بهم التهمة، وبالتالي فهذه الأفكار تخلق حواجز إنسانية بين مختلف الفئات والجماعات مما يمنع تفاعلها الإنساني ولقاءها، ويسد السبيل أمام التفاهم والتفهم المتبادلين.

- التمثلات الاجتماعية: هو من المفاهيم التي برزت أساساً في حقل علم النفس الاجتماعي خاصة مع الأبحاث التي قام بها مجموعة من الباحثين وعلى رأسهم ميسكوفيشي Moscovici وأبريك Abric ودواز Doise، ومع مرور الوقت أصبح لهذه النظرية تأثير كبير على الأبحاث في عدد من الحقول المعرفية بما فيها علوم التربية. نكتفي في هذا الإطار التعريف بأهم

وراهنياً، يتعلق بتمثل الآخر والنظرة إليه، وكما هو معروف فهذا الموضوع أصبح يفرض نفسه بحدة، خاصة بعد تنامي دعوات التطرف التي تركز على العلاقات الصدامية مع الآخر المختلف دينياً وثقافياً ولغوياً، وتحاول في تبريرها لذلك التركيز على جوانب الاختلاف انطلاقاً من رؤى إثنو - مركزية، وهو ما لا يسمح ببناء ثقافة التسامح والحوار الذي يعتبر عنصر أساسياً من أجل تحقيق العيش المشترك سواء على المستوى الوطني أو العالمي.

وتبرز أهمية الدراسة أيضاً في محاولتها تشخيص واقع تدريس صورة الآخر في النظام التربوي المغربي، ومحاولة ملامسة منهجيتها في النظرة إلى هذا الآخر أو ذلك، والهدف تقييم مدى انسجامها مع الغايات التربوية المعلنة في الخطاب الرسمي، ومحاولة الإسهام بمقترحات وتوصيات قيمة تجعل الكتب المدرسية تلعب الدور المنوط بها في التربية على القيم الإنسانية المثلى القائمة على التسامح والحوار البناء ليس فقط مع المختلف دينياً بل المختلف فكرياً وثقافياً.

## ج. محددات الدراسة

ترتكز محددات الدراسة على:

- محدد المستوى التعليمي: حيث تتناول الدراسة المرحلة الثانوية الإعدادية وهي مرحلة وسيطة في النظام التعليمي المغربي تقع بين المرحلة الابتدائية التي تستمر الدراسة بها ست سنوات، والمرحلة الثانوية التأهيلية التي تستغرق ثلاث سنوات.

- محدد ديداكتيكي: تتدرج الدراسة ضمن تحليل الكتب المدرسية الخاصة بمادة التاريخ، وهي تشكل مادة من بين ثلاث مواد تتدرج في إطار مادة واحدة تسمى الاجتماعيات، وتضم إلى جانب التاريخ، مادة الجغرافيا والتربية على المواطنة.

- المحدد الجغرافي والزمني: تتناول الدراسة الخاصة بتمثيلات المدرسين وهي عينة من أساتذة التاريخ بنيابة زاكورة وهي من نيابات الجنوب المغربي. وقد أنجزت الدراسة في الموسم الدراسي 2013-2014.

والتي تحدد هوية الجماعات وتحافظ على خصوصياته، وتمكن من بناء هوية اجتماعية. والثالثة هي وظيفة التوجيه والتي تلعب دوراً في توجيه سلوكيات وممارسات الفرد. أما الرابعة فهي الوظيفة التبريرية وبواسطتها تبرر جماعة معينة قراراتها ومواقفها تجاه جماعة أخرى.

هناك رابط وعلاقة بين التمثلات والسلوكيات، ونجد هذا الترابط مشاراً إليه في أعمال مولينير MOLINER [6] في إشارته: إن مسألة التعرف على التمثل الاجتماعي حول موضوع معين داخل جماعة معينة يستلزم معرفة نوع من التفاعلات المتعلقة بالحكم وإبداء الرأي حول موضوع معين.

- المرحلة الثانوية الإعدادية: يندرج هذا المفهوم في إطار المفاهيم الجديدة التي جاء بها الإصلاح التربوي الأخير، والذي تبنى هيكله الجديدة للتعليم الابتدائي والثانوي، والعالي، وقد تم ذلك على أساس الجذوع المشتركة والتخصص التدريجي ومد الجسور بين جميع المستويات. وتستغرق الدراسة في هذا السلك ثلاث سنوات.

### 3. الإطار النظري والدراسات السابقة

على المستوى الوطني - بحسب علم الباحث - لم تتجز بعد دراسات عالجت موضوع الآخر في الكتب المدرسية، لكن على المستوى الدولي هناك مجموعة من الدراسات التي تناولت صورة الآخر في الكتب المدرسية، منها:

- دراسة للباحث الفرنسي غروليز GROULEZ [7] التي حاول فيها رصد صورة الأقلية اليهودية في التاريخ المدرسي الفرنسي وذلك من خلال رصد صورة هذه الأقلية في الكتب المدرسية الخاصة بمادة التاريخ، وطبيعة الخطاب المدرسي حولهم، بحيث خلص إلى أن البرامج المدرسية الفرنسية تسجل حضوراً لافتاً للآخر اليهودي عبر مستوياته المختلفة، مع تركيزها على جملة من القضايا التاريخية والدينية التي ارتبطت بهذه الأقلية الدينية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر التركيز على الأصول الأولى للديانة اليهودية وعلاقتها بالديانة المسيحية، وكذا وضع اليهود في فترة حكومة "فيشي" الموالية

الاتجاهات التي انطلقت منها بعض الأبحاث بخصوص مفهوم التمثلات الاجتماعية باعتباره المفهوم الذي تبنى عليه هذه المقالة سواء في تحليل الكتب المدرسية أو رصد تمثلات عينة من المدرسين. ويعتبر موسكوفيشي Moscovici [4] من أوائل معتمدي مفهوم التمثلات الاجتماعية من خلال الأبحاث التي أنتجها في علم النفس التحليلي، بحيث عرف التمثل باعتباره تنظيمًا نفسيًا ونموذجًا من المعارف الخاصة وصيرورة من العلاقات بين المفهوم والإدراك.

أما أبريك Abric [5] فقد عرف هذا المفهوم باعتباره نتاجاً وصيرورة لنشاط ذهني بواسطته يعيد فرد أو جماعة ما إعادة تشكيل الواقع الذي يعيش فيه وإضفاء دلالات ومعاني خاصة عليه، ويميز في هذا الصدد بين خاصيتين مميزتين للتمثلات، الأولى خاصية الامتدادية (أي أن التمثلات تكون مشتركة بين كل أفراد الجماعة) أما الثانية فهي الجمعية اعتباراً لكونها نتاجاً لتفاعلات داخل الجماعة.

ويقترح Abric نظرية النواة المركزية والتي تفيد بأن التمثلات الاجتماعية هي نسق منظم من المعلومات والمعتقدات والمواقف، وتشكل هذه المجموعة منظومة معرفية خاصة مكونة بدورها من منظومتين تؤثر الواحدة منهما في الأخرى وهما المنظومة مركزية (نواة مركزية) والمنظومة الهامشية، وتجد المنظومة المركزية أصلها وجذورها في القيم التي تتجاوز إطار الموضوع، ويولي نفس الباحث أهمية خاصة للعناصر الهامشية، فهذه الأخيرة تساهم في نمذجة وتكييف وحماية التمثل الاجتماعي. إن تغيير التمثل حسب مقاربة Abric [5] يستلزم تغيير النواة المركزية التي تظل محمية من طرف العناصر الهامشية. وتلعب التمثلات الاجتماعية مجموعة من الوظائف سواء بالنسبة للفرد أو الجماعة، في هذا الصدد يميز نفس الباحث بين أربعة وظائف للتمثلات الاجتماعية، الأولى هي الوظيفة المعرفية والتي تسمح بشرح وفهم الواقع، وتمكن الأفراد في سياق اجتماعي من اكتساب المعارف وتكييفها ودمجها في إطار قابل للاستيعاب والفهم. أما الثانية فهي الوظيفة الهوياتية

## 4. الطريقة والإجراءات

## أ. مجتمع الدراسة وعينتها

تتناول الدراسة تحليل عينة من الكتب المدرسية المغربية الخاصة بمادة التاريخ بالمرحلة الثانوية الإعدادية، وهذه الكتب هي "الجديد في الاجتماعيات" و"رحاب الاجتماعيات" وفضاء الاجتماعيات" وهي الكتب المقررة في هذه المرحلة التعليمية التي تتكون من ثلاث سنوات.

أما في الشق الميداني، فقد تكونت العينة من (89) مدرساً للتاريخ يدرسون بالمرحلة الثانوية الإعدادية، بناية زاكورة جنوب المملكة المغربية. يتوزعون إلى (87) مدرس و(3) مدرسات.

## ب. أداة الدراسة

تم الاعتماد في إنجاز الدراسة على تقنيتين، الأولى هي تحليل المضمون، وتخص تحليل مضمون الكتب المدرسية للتاريخ، واستخراج ما فيها من إشارات مختلفة حول الآخر، ومحاولة تنظيمها في نسق يمكن من رسم ملامح الصورة التي تخص هذا الآخر أو ذلك. بينما تم العمل في الشق المتعلق بتمثيلات المدرسين على الإستبانة نصف الموجهة، والتي سمحت لنا برصد اتجاهات، ومواقفهم حول صورة الآخر. وقد تم التركيز في الدراسة الإحصائية للنتائج على المتوسطات الحسابية.

## 5. النتائج

أ- النتائج الخاصة بتحليل صورة الآخر في الكتب المدرسية المغربية:

تستند الكتب المدرسية في مادتها المعرفية بشكل عام على مكتسبات البحث الأكاديمي بمختلف تخصصاته، لكنها تعمد في التعامل مع تلك المادة المعرفية العالمية بمنطق الانتقاء والنقل المدرسي، فتبرز جوانب وتخفي جوانب أخرى انسجاماً مع طبيعة المستويات التعليمية وفلسفة النظام التربوي وتوجهاته العامة. ولا ريب أن الإنتاج الأكاديمي والتراثي العربي قد خلف بشكل عام تراكماً مهماً حول الآخر المختلف اعتباراً للعلاقات التاريخية التي ربطت بين الثقافة العربية المغربية من جهة والثقافات الأخرى من جهة أخرى، ومن هذه الدراسات التي ركزت على

للنازيين إبان الحرب العالمية الثانية. وخلص الباحث في النهاية إلى إبراز دور هذه الأقلية في تشكيل الذاكرة والهوية الوطنية الفرنسية.

- دراسة لمارلين نصر [8] حول "صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية"، حيث انطلقت من التركيز على مفهوم الصورة والتمثل الخاص بالعرب والمسلمين في المناهج والكتب المدرسية الفرنسية الخاصة بالقراءة، والتاريخ، والجغرافيا، والتربية المدنية، وخلصت إلى أن هذه الكتب تكرر صور نمطية سلبية حول العرب والمسلمين باعتباره آخر حاضر في فرنسا بشكل وازن خاصة العرب والمسلمين القادمين من دول المغرب الكبير كالجزائر والمغرب، وخلصت إلى ضرورة تصحيح هذه الصور والتمثيلات، في اتجاه رسم صورة إيجابية وأقرب إلى الواقع، واعتمدت الدراسة على تقنية تحليل المضمون، وقد اعتمدت في عملية التحليل مستويين أولهما التحليل القائم على تصنيف الإشارات الموثقة في الكتب المدرسية حسب موضوعاتها والذي يتوجه نحو استخلاص الموضوعات الأصلية والفرعية وتصنيفها. وثم اعتماد هذا المستوى في الخطاب الظاهر الذي يتضمن نصوصاً أو عناوين تخص العرب أو الإسلام. وقد كان هذا المستوى فرصة للباحث لتقدير المكانة المخصصة للعرب (حجم الصفحات وعدد الأسطر...) ومقارنتها في العينة المدروسة. أما الثاني فهو التحليل الكامن والذي يهدف إلى رصد الأسلوب الذي اعتمده مؤلفو الكتب المدرسية بطبعاتها المختلفة في إنتاج ورسم الصورة حول العرب والإسلام.

## التعقيب على الدراسات السابقة:

اعتمدت الدراساتين معاً على تقنية تحليل المضمون، عبر استخراج المؤشرات الخاصة بالآخر، وتبويبها في فئات محددة، وموضوعات معينة، واعتماداً على شبكة تحليل، لكن تبقى الملاحظة المثارة حول العمليتين هو اقتصارهما على الجانب التشخيصي والتحليلي، دون الوصول إلى اقتراح نماذج تعليمية عملية لتدريس صورة الآخر وفق منظور جديد.

لك إله غيري، لن تعبد الأصنام بعد اليوم، أطع أباك وأمك وأحسن إليهما تتعم بالعمر المديد، لا تقتل، لا تخن، لا تسرق، لا تشهد زوراً، لا تصم في مال الغير» [13]. وقد أرفقت هذه الوصايا العشر بنص قرآني حول بعثة النبي موسى، كما تم تقديم صورة للفائف من التوراة، والتي عرفت في الكتاب المدرسي بأنها: «المرجع الرئيس اليهودية، وتشكل سجلا لتاريخ القبائل العبرانية، وتتضمن أقوال اليهود، وما تلقوه من وحي، كما يحدد طقوس الديانة والتنظيمات الاجتماعية والقضائية الخاصة باليهود» [13].

إنها إذا اللحظة الأولى التي يكتشف فيها التلميذ بشكل مركز، ومن خلال الكتاب المدرسي، فكرة عن الآخر المختلف دينيا كاليهودية والمسيحية والتي تقدم للمتعلم كديانات توحيدية تخالف الديانات "الوثنية"، وتتضمن قيما تشبه إلى حد بعيد قيم دينه الإسلام، خاصة وأنها تنتمي شأنها شأن الإسلام إلى ما يسمى الديانات التوحيدية الإبراهيمية. علماً بأن هذا الدرس لم يأتي بذكر تحريف اليهودية أو المسيحية، وهي اللازمة التي تركز عليها كتب التربية الإسلامية.

غير أنه وبعد هذا الدرس، لا نجد سوى إشارات عابرة حول هذا الآخر، ففي درس حمل عنوان " نشأة الدولة الإسلامية" تصادفنا إشارتين حول الآخر اليهودي، تتعلق الأولى بيهود المدينة في إطار خريطة تبين غزوات الرسول، والإشارة الثانية جاءت في إطار تقديم وثيقة تاريخية (من سيرة ابن هشام) معنونة ب" دستور الدولة الإسلامية "جاء فيها: «لليهود دينهم، مواليهم أنفسهم إلا من ظلم وأثم وأنه من تبعنا من اليهود فإن له النصر والأسوة» [13]

والمعلومات المذكورة في تلك الفقرات ترد بهدف تبيان سماحة الإسلام تجاه الديانات الأخرى سواء اليهودية أو المسيحية.

كما ويلاحظ أن الكتاب المدرسي للتاريخ قد خصص درساً خاصاً بالقضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي ومن خلال هذا الدرس تتاح للمتعلم فرصة لتعرف جذور القضية الفلسطينية وأهم مراحلها إلى حدود سنة 1948، وكذا التطورات

دراسة الآخر المختلف في الثقافة التاريخية المغربية نذكر على سبيل المثال لا الحصر دراسة كنيبي [9] حول العلاقات اليهودية الإسلامية في المغرب [9] وعبدالله الغمايد [10] حول يهود سوس [10] ومحمد حاتمي حول نشاط المنظمات الصهيونية بالمغرب [11] وعبد الإله حميد حول يهود الواحات [12] لكن إلى أي حد استطاعت كتب التاريخ المدرسي أن تستوعب هذا الحضور؟

يمكن القول أن ما نجده في كتب التاريخ الحالية لا يعكس حجم الحضور التاريخي لهذا الآخر، بحيث أن ما نجده من معلومات لا يبدو أن يكون سوى إشارات مبنوثة هنا وهناك في ثنايا الكتب المدرسية للتاريخ.

ففي كتاب السنة الأولى من المرحلة الثانوية الإعدادية، والذي يغطي مرحلة التاريخ القديم والوسيط (ميلاد الحضارات القديمة خاصة حضارة بلاد الرافدين، إلى فترة الحروب الصليبية) نجد حضوراً لعدد من المعطيات حول الديانة اليهودية التي تم تخصيص الحديث عنها في محور خاص من درس "الديانات في الحضارات القديمة بين التعدد والتوحيد".

ونجد في النشاط الأول من الدرس خريطة تحدد المجال الجغرافي لظهور هذه الديانة، وتحصره في صحراء سيناء بمصر، وقد رمز لليهودية في مفتاح الخريطة ب"الشمعدان" وهو من الرموز الدينية اليهودية. وفي النشاط الثاني أدرجت اليهودية في خط زمني عام للديانات القديمة يؤطر زمنياً الفترة الممتدة من 2200 قبل الميلاد إلى 700 ميلادية، ويحدد سنة (1200 ق م (كلحظة تاريخية لبعثة النبي موسى بمصر وميلاد الديانة اليهودية) [13] بينما تم الترميز للديانة المسيحية بالصليب، قدم هذا الدرس بهدف تعريف المتعلم بالآخر المختلف دينياً سواء كان يهودياً أو مسيحياً، مع محاولة إبراز علاقتهما بالديانة الإسلامية.

في نشاط آخر يقدم الكتاب المدرسي بعض خصائص الديانة اليهودية من خلال نصوص مقتطفة من " سفر الهجرة" ج 20، وهي عبارة عن عشر وصايا للنبي موسى جاء فيها: « لن يكون

مجموعة من الدروس التي كانت تدرس في البرامج المدرسية السابقة والتي كان موضوعها تاريخ الممالك الأمازيغ، أما المكون الإفريقي والحساني والمورسكي فتكاد تكون غائبة في البرامج الحالية، وهو ما يستدعي الالتفات إليه في أي تغيير محتمل لبرامج هذه الكتب المدرسية التي يجب أن تسعى لترجمة مضمون السياسة التربوية ومنطق الدستور المغربي الجديد.

إذا كانت هذه هي الصورة العامة لتصور الآخر المختلف دينياً في كتب التاريخ المدرسي، فما هي تمثلات هذا الآخر لدى عينة من مدرسي التاريخ؟

ب- النتائج الخاصة بتمثلات أساتذة التاريخ تجاه الآخر

انطلق الباحث في الإطار النظري السابق من تعريف التمثل وبنيته ووظائفه المختلفة، بينما يتوجه هذا القسم إلى تقديم نتائج الدراسة الميدانية حول تمثلات عينة من مدرسي مادة التاريخ بالسلك الثانوي الإعدادي، مع مراعاة مقتضيات البناء النظري لمفهوم التمثل الاجتماعي في بناء أداة الدراسة. وبشكل عام يمكن تقديم بعض نتائج الإستبيان باعتباره الأداة المعتمدة في هذا الشق على النحو التالي:

ففي علاقة بحضور الآخر في كتب التاريخ، تم طرح سؤال على المدرسين بخصوص هذه النقطة، فكانت إجابتهم على الشكل التالي: عبرت نسبة 50% بأن الحيز المخصص للحديث عن الآخر (المضمن في الدستور المغربي الذي سبقت الإشارة إليه) في الكتب المدرسية للتاريخ ضعيف بالمقارنة مع مجموع البرنامج، وذهبت نسبة 48% من الأساتذة إلى اعتباره متوسطاً، بينما أشارت نسبة لا تتعدى 2% إلى أن حيز تلك المعارف ضعيف جداً وغير متناسب مع الحضور القوي للمكونات المشكلة للهوية المغربية المشار إليها في الوثيقة الدستورية التي أشارت إلى المكون الحساني والأمازيغي والإفريقي والعبري.

هذا التقييم لمستوى حضور هذا الأخير في الكتاب المدرسي من طرف أساتذة مادة التاريخ، يجد مرجعيته في عنصريين رئيسيين يرتبط أولهما بأن الكتاب المدرسي يحتوي بالفعل على أفكار ومعجم يحيل على الآخر المختلف بشكل

التي مر بها الصراع العربي الإسرائيلي، وتأثيره على عدم الاستقرار بالشرق الأوسط والعالم العربي. مما يجعل من الدرس فرصة لرصد صورة هذا الآخر، ويمكن رصد ملامحها عبر هذا الدرس من خلال ما يلي:

- حضور قوي لمعجم يحيل على الآخر خاصة اليهودي حيث وجد تواتر كلمات من قبيل اليهود، واليهودية العالمية، والشعور والوعي القومي اليهودي، ومصطلح "الصهيونية" والذي أفرده مؤلفو الكتاب المدرسي بالتعريف التالي: «الصهيونية حركة ظهرت خلال القرن 19م، عمل زعمائها على المطالبة بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين» [14].

يمكن تسجيل بعض الملاحظات النقدية حول هذا الدرس، ومنها أن طريقة عرضه النزاع لا تسمح بترسيخ كفايات وقدرات حل النزاعات والتربية على قيم السلم الدولي، مع أن هناك إمكانية لفتح هذا الدرس على مقارنة تاريخية تقوم على الرؤى المتقاطعة حول نفس الأحداث، ومنه إكساب المتعلم كفاية النقد التاريخي، وهو ما حاول مؤرخون فلسطينيون وإسرائيليون التأكيد عليه من خلال كتيب حمل عنوان " التعرف على رواية الآخر التاريخية، الإسرائيليون والفلسطينيون" والذي يقدم روايات تاريخية حول أحداث لها ارتباط بالنزاع الإسرائيلي الفلسطيني.

باستثناء هذه الإشارات الموصوفة عموماً بالقلة، فإن تتبع بقية الكتب المدرسية الخاصة بمادة التاريخ لا يفيد بمعلومات مهمة حول باقي جوانب التاريخ والحضارة التي تخص هذا الآخر أو ذلك، ويمكن القول إن هذه القلة لا تعكس حضور هذا الآخر ودوره الوازن في تاريخ المغرب خاصة، أو في تاريخ حوض البحر المتوسط بشكل عام. وهو ما يجسد الثغرة على اعتبار أن هذه الكتب لم تترجم مضمون ما تم التأكيد عليه في الميثاق الوطني للتربية والتكوين والذي يشير إلى ضرورة التركيز على تعدد روافد الهوية المغربية والانفتاح على الحضارات الأخرى. فالإشارات حول المكون الأمازيغي وهو مكون ثقافي ولغوي متميز، ضعيفة جداً في برامج التاريخ الحالية، ولا تمكن المتعلم من تكوين تصور واضح حوله، خاصة وأنه تم حذف

فيما يخص المواقف والتمثلات العامة لأساتذة المادة، يمكن التمييز فيها بشكل إجمالي بين:

- مواقف وتمثلات راديكالية ذات صبغة دينية وسياسية: لدى هذه الفئة تركيز خاص على علاقة الآخر اليهودي بمأساة الشعب الفلسطيني خلال القرن العشرين وما تعرض له من احتلال. وكمثال على هذا الموقف يشير أحد الأساتذة إلى أن الآخر اليهودي عرق من الأعراق البشرية وديانة سماوية لها مبادئ وأصابتها تحريفات ويشير آخر معبراً عن موقف مماثل أنه ضد هذا الآخر لأنه يفتقد ثقافة الحوار واحترام الديانات الأخرى خاصة الإسلامية على الرغم من أن هذه الأخيرة تدعو إلى احترامه كما جاء في السنة النبوية.

- مواقف حقوقية النزعة: يرتبط تصور هذه الفئة من المدرسين بالمرجعية الكونية لحقوق الإنسان وما تدعو إليه من ضرورة احترام الآخر بغض النظر عن دينه أو لغته. ويمكن كمثل على هذا التوجه أن نبرز موقف أحد المدرسين من الآخر أياً كان، إذ أشار إلى أن موقفه نابع من "المقاربة الحقوقية الكونية والشمولية لكن أفضل فيها وأستثني الحركة الصهيونية التي هي حركة عنصرية واستعمارية توسعية في علاقتها بالإمبريالية".

إذن فمواقف أفراد عينة الدراسة الخاصة بمدرسي التاريخ تعبر بشكل عام عن موقف متذبذب من مسألة العلاقة بالآخر عامة، غير أن ما برز من خلال اللقاء ببعض أفراد هذه العينة هو توازن مواقفها الخاصة تجاه أهمية دراسة حضور الآخر ووعي المدرسين وتأكيدهم على أهمية تركيز الكتب المدرسية على دراسته والاهتمام بالموضوعات المتصلة بالآخر وقضايا الاختلاف بشكل عام.

## 6. مناقشة النتائج

من خلال الدراسة تمت معالجة بعض القضايا المرتبطة بصورة الآخر وحضوره سواء في الكتب المدرسية للتاريخ أو لدى مدرسي مستوى المرحلة الثانوية الإعدادية، ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

- أهم الثغرات التي يمكن تسجيلها على كتب التاريخ الحالية،

كبير مقارنة بباقي المواد الأخرى، ويظهر ذلك من خلال درس حول الديانات القديمة بين التعدد والوحدة في برنامج السنة الأولى، ودرس القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي في برنامج السنة الثالثة. أما العنصر الثاني فيرتبط بحجم المساحة الزمنية المخصصة لمادة التاريخ خاصة إذا علمنا أن نفس المدرس مكلف بتدريس مادتين أخريين هما الجغرافية والتربية على المواطنة مما يفسر في نظرهم معقولية وواقعية ذلك الحضور.

أما مواقف وتمثلات الأساتذة حول المعرفة المضمنة في تلك الكتب حول الآخر، ومدى أهميتها العلمية، فبرز من خلال التحليل موقفين، الأول يرى أن المعرفة المضمنة في الكتاب المدرسي حول الآخر معرفة علمية، وقد عبر عن هذا الموقف 52% من الأساتذة والذين اعتبروا أن تلك المعارف مستندة لمصادر تاريخية ذات مصداقية كما أنها حسب بعض أفراد هذه العينة معرفة علمية دقيقة تقدم للمتعلم لمساعدته على اتخاذ وجهة نظر وموقف واضح من الآخر، في حين ترى ما نسبته 48% من أفراد العينة أن تلك المعارف لا تستند لأساس علمي واضح. أما بخصوص المجالات المعرفية التي تغطيها تلك المعارف، فقد جاءت آراء الأساتذة بنسبة 76% لتشير إلى أن الطابع العام الذي يطغى على موضوع تناول الآخر، هو الجانب السياسي، خاصة حينما يتعلق الأمر بموضوع الصراع العربي الإسرائيلي، وهو ما يجد تفسيره في مركزية القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي.

وحول سؤال علاقة المعرفة الموجودة في الكتاب المدرسي الخاص بمادة التاريخ بقناعات وأفكار بعض أساتذة المادة توصل الباحث إلى أن ما نسبته 81% من عينة الدراسة يصرحون بوجود نوع من الانسجام والتوافق الحذر حيث أشار أحد أفراد العينة إلى أن المعارف المقدمة حول الآخر تدعو إلى التسامح واحترام الغير دون النظر إلى دينه وجنسه ولغته، بينما عبرت ما نسبته 19% عن عدم انسجام تلك المعارف مع قناعاتها الخاصة.



أن الجامعة المغربية، وخاصة شعب التاريخ اهتمت بإبراز جوانب من حضور الآخر المختلف بالمغرب فإن البحث التربوي في المغرب لم يتمكن بعد من الاستفادة من هذا التراكم ولم يبلور بشأنه نماذج ووحدة ديداكتيكية قابلة للاستثمار في الممارسة والكتب المدرسية الحالية.

### 7. التوصيات

على ضوء النتائج الأولية التي تم التوصل إليها نقدم التوصيات التالية:

- مراجعة الصور النمطية الخاصة بالآخر بشكل عام في الكتب المدرسية: ويستهدف هذا المقترح مراجعة البرامج الخاصة ببعض المواد المدرسية الحاملة للقيم، بهدف تصحيح ما يعنري معلوماتها من أخطاء وهفوات، ومراجعة التمثلات المسبقة التي تقف عائقاً معرفياً أمام انخراط التلاميذ والأساتذة في التعلم الخاصة بالآخر. هذا إلى جانب العمل على تدعيم التنوع الثقافي المميز للمجتمع المغربي والمنصوص عليه دستورياً في (دستور 2011). فالكتب المدرسية يجب أن تكون وسيلة من وسائل تدعيم قيم التسامح ونبد التعصب والتمثلات المسبقة. ولما كانت مسألة العلاقة مع الآخر موضوعاً من المواضيع التي تتجاوز حدود الوطني إلى العالمي، فإن مسألة مراجعة البرامج والكتب المدرسية يجب أن تفتح على إمكانات التنسيق الدولي المختلفة، وفي هذا الصدد نرى من الحيوي مراجعتها من خلال منظور يستحضر الأبعاد الوطنية في تكامل مع الالتزامات الدولية الخاصة بالمبادئ والمثل الإنسانية المشتركة.

- مقترحات خاصة بإدماج التربية على التنوع الثقافي والسلم في الكتب المدرسية: يتعزز اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، شعور بضرورة دفع الحوار بين الشعوب والثقافات نحو تحقيق الأهداف الإنسانية المثلى، فلا يمكن تصور أي تعاون بناء أو أي حوار حقيقي بين الحضارات والثقافات دون الإقرار بمبدأ التنوع الثقافي. ومن ثمة فلا بديل عن التربية على الحوار واحترام التنوع الثقافي وصونه باعتباره سبيلاً للتعايش بين البشر، والتأسيس لمستقبل مشترك. انطلاقاً من هذه التوطئة يجب أن

هو تغييرها لبعض المكونات الهوياتية المغربية بالرغم من تطور الأبحاث حول الروافد التي تشكل عناصر من الهوية المغربية، فكيف يمكن فهم هذا السكوت؟

لعل تفسير ذلك يرجع بالأساس إلى استمرار تعاطي مؤلفي الكتب المدرسية مع الهوية بمنطق يحاول تحاشي الحديث عن الاختلافات وحجبها، بهدف إبراز عنصر الوحدة، خاصة وأن هذا السكوت يطال عناصر مكونة للهوية المغربية ومنها على سبيل المثال لا الحصر المكون الأمازيغي والإفريقي والحساني وغيرها. وهو ما يتحتم معه مراجعة هذه البرامج خاصة وأن المناخ السياسي الجديد يسمح بذلك بعد إقرار مبدأ التنوع الهوياتي في دستور 2011 وإشارته الصريحة ولأول مرة إلى مكونات متعددة لهذه الهوية كما سبقت الإشارة إلى ذلك وهو ما يستدعي حضور ذلك في إي إصلاح للبرامج والمناهج الجديدة.

من الملاحظات الأخرى التي يمكن إبرازها أيضاً وجود فجوة بين التوجيهات التربوية الخاصة بالتاريخ، والبرامج المنزلة في الكتب المدرسية. فهذه الأخيرة ما تزال في حاجة إلى مراجعات وتنقيحات فيما يخص التعاطي مع موضوعات الغيرية والاختلاف. فإذا كانت الميثاق الوطني للتربية والتكوين يؤكد على أهمية إبراز البعد التعددي للهوية المغربية بما فيها البعد الأمازيغي، والإفريقي والحساني والعبري وغيرها، فإن تحليل البرامج الدراسية يؤكد قصورها في هذا الجانب، بحيث أن المتعلم لا يتمكن من خلالها إدراك دور المكون الأمازيغي في الحضارة المغربية، ولا تشير إلى العلاقات المغربية الإفريقية بالشكل المطلوب، ولا ترد فيها أي إشارة واضحة إلى دور المكونات العبرية والحسانية وغيرها في بناء الهوية المغربية.

فيما يخص تمثلات المدرسين فهي لا تتوافق ومواقف نسبة مهمة منهم مع ما تدعو إليه التوجيهات التربوية مما ينعكس على تصريفهم الديداكتيكي للمادة المدرسة، أضف إلى ذلك محدودية التكوين الأساسي والتربوي للأساتذة في مجال التربية على التنوع الثقافي. وهو ما يؤثر على تعاطيهم مع القضايا المرتبطة بالاختلاف والغيرية في الممارسة الصفية. وبالرغم من

الهوية الوطنية ومكوناتها الثقافية المختلفة.

### المراجع

#### أ. المراجع العربية

[2] أفاية، محمد نور الدين (2000) *صورة الآخر في الفكر العربي الوسيط، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء.*

[3] حجازي، مصطفى (2010) *التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المهدور، المركز الثقافي العربي، الطبعة الحادية عشر، الدار البيضاء.*

[8] نصر، مارلين (2001) *صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية، منشورات مركز الوحدة العربية، الطبعة الأولى.*

[9] كنيبي، محمد (1998) *يهود المغرب 1912-1948، تقديم أندري أزولاي، ترجمة إدريس بن سعيد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط أكادال.*

[10] الغمائي، عبد الله (2002) *جماعات يهود سوس: المجال والتمثلات الاجتماعية والسياسية 1860-1960، بحث لنيل الدكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة محمد الخامس أكادال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط - مرقونة.*

[11] حاتمي، محمد (2007) *الجماعات اليهودية المغربية والخيار الصعب بين نداء الصهيونية وهران المغرب المستقل (1948-1961)، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب، شعبة التاريخ، - مرقونة - 2007.*

[12] حميد، عبد الإله، (2010) *جماعات يهود الواحات (دراسة في التحولات الاجتماعية والاقتصادية خلال القرن العشرين) واحات درعة نموذجاً، جامعة محمد الخامس أكادال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.*

تبذل الكتب المدرسية المغربية مجهوداً أكبر لإدماج متوازن لكل روافد الثقافة المغربية خاصة الأمازيغية والحسانية والإفريقية والعبرية. ولن يتم ذلك إلا بتبني مقاربة مندمجة تراعي تطلعات وطموح التلاميذ والأساتذة من جهة، ومن جهة ثانية فتح نقاش عام وطني حول الهوية والتاريخ ويمكن في هذا الجانب إبراز ملامح ذلك من خلال الفلكلور واللغة والآداب والمعتقدات (ظاهرة الأولياء المشتركين) وإبراز الإسهام لكل مكون في بناء التاريخ المغربي أفقياً وعمودياً.

- تدعيم معارف الأساتذة والتلاميذ حول الآخر: إن الرأي والموقف عندما ينطلق من معارف مسبقة وغير مبنية على أساس منهج علمي مضبوط، يكون مدعاة لتمثلات ومواقف سلبية تجاه الآخر سواء أكان هذا الاختلاف مع الآخر دينياً أم سياسياً أم اجتماعياً، من هنا تبرز أهمية تدعيم معارف التلاميذ والمدرسين حول الآخر، خاصة في ضوء ضعف معارف هذه الفئة بهذا المكون الأساسي من مكونات المجتمع المغربي، وهذا الضعف يتسع باستمرار بسبب ضعف استفادة البحث التربوي من معطيات البحث الأكاديمي المغربي حول الآخر. وغياب تواصل حقيقي بين الديدانكتيكيين والأكاديميين في حقل التاريخ.

- ضرورة اعتماد مؤلفي الكتب المدرسية على سياسة تواصلية مع الأساتذة، عن طريق إقامة ندوات وورشات وأيام دراسية، وبحوث ميدانية. حتى يتسنى بلورة وإعداد كتب مدرسية تحظى بمصداقية وقبول لدى المدرسين من جهة، وتستجيب لتطلعات التلاميذ من جهة ثانية.

إن جزء من حل هذه الإشكاليات ومعالجتها يرتبط أولاً بإعادة النظر في البرامج بشكل يسمح بمراجعة صورة الآخر المغربي سواء كان أمازيغياً أو إفريقياً أو عربياً أو عبرياً أو أي مكون آخر في الكتاب المدرسي، ومحاولة التفكير في مقاربة تربوية فعالة لإدماج تاريخ الأقليات الدينية والثقافية في البرامج تفعيلاً لمبادئ التربية على التنوع الثقافي وثقافة السلم. وهذا لن يتم إلا من خلال نقاش عمومي بين مختلف عناصر العملية التربوية، نقاش يأخذ بعين الاعتبار تداخل وتركيب عناصر

- [4] Moscovici, (1984), « *Psychologie sociale* », Presses Universitaires de France, Paris.
- [5] Abric, J. C, (1994), *Pratiques sociales et représentations*, Presses Universitaire de France, Paris.
- [6] Moliner P. Et Martos A, (2005) «Une redéfinition des fonctions du noyau des représentations sociales», in *Journal International sur les représentations sociales* Vol. 2 No1.
- [7] Groulez. M, (2001), *Les juifs dans les manuels scolaires d'histoire en France, une minorité dans la mémoire nationale*, Harmattan, France 2001.
- [13] رحاب الاجتماعيات (2003) كتاب مدرسي، السنة الأولى من التعليم الثانوي الإعدادي، كتاب التلميذ(ة)، مكتبة السلام الجديدة، الدار العالمية للكتاب، الطبعة الأولى.
- [14] *الجديد في الاجتماعيات* (2005) كتاب مدرسي، السنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي، كتاب التلميذ(ة)، الطبعة الأولى.
- أ. المراجع الأجنبية
- [1] Sillamy, Norbert (2003); *Dictionnaire de la psychologie*, Larousse - VUEF.

# THE IMAGE OF THE OTHER IN MOROCCAN EDUCATIONAL PROGRAMS BETWEEN AMBISIOUS OBJECTVES AND LIMITED EFFICIENCY

**HMID ABDELELAH**  
**Faculty of Education sciences-Rabat**  
**University of Mohamed V-Morocco**

***Abstract\_** This study aims to shed the light on the image of the other in Moroccan schools' curricula, at the secondary and preparatory levels, including teachers. The study typically addresses the image of Other on the level of Moroccan books and school programs own high school junior high. It attempts to diagnose the nature of the image of the other in historical books relying on content analysis techniques. The latter is based on the extraction of signals and phrases to pertain the topic. The paper in hand classified the content of the analysis into thematic categories, intending to draw a general picture of the matter. We relied on only a sample form monitoring stereotypes among teachers of history.*

*At the end of the study we have tried to provide a set of recommendations and practical suggestions that aim to correct imbalances and problems that characterize the current programs. Eventually, we are of course encouraging the principles of education on cultural diversity and "tolerance" which is supposed actually the goal of values and measures adopted in the educational system, in a multicultural society such as Moroccan society.*

***Keywords:** images social, stereotypes, curricula, teachers, multicultural education.*